قضية الالتزام بالمعايير الإسلامية للأدب (شعر حسان بن ثابت أنموذجاً)

The issue of adherence to Islamic standards of literature (Hasan bin Thabit's poetry as an example)

د. عمار عبد الرحمن إسماعيل أمبدة*

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، (السودان)، ammanb059@gmail.com

تاريخ الارسال2024/01/18 تاريخ القبول 2024/02/26 تاريخ النشر 2024/03/31

ملخص:

هذه الدراسة عن قضية الالتزام بالمعايير الإسلامية للأدب (شعر حسان بن ثابت أنموذجاً)، وهدفت الدراسة إلى مفهوم قضية الالتزام بالمعايير الإسلامية للأدب؛ الأمر الذي أدى إلى التغيير في أسلوب الشعر ومعانيه من خلال تأثر الشعراء بأسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، مما أدى ذلك إلى اختيار الألفاظ والتراكيب السهلة التي تؤدي إلى خدمة الإسلام وما يدعو إليه. ومن ثم ذِكْر تأثّر الشاعر حسّان بن ثابت بقضية الالتزام للمعايير الإسلامية للأدب في معظم أغراضه الشعرية، ابتداءً بالرثاء، ومروراً بالغزل، والفخر، والهجاء، والمدح. واتبعت الدراسة المنهج التاريخي والاستقرائي. وخلصت الدّراسة إلى عددٍ من النتائج من حيث مجملها: ظهور معاني جديدة في معظم أغراض شعر حسان بن ثابت التزم فيها المعايير الإسلامية للأدب بعد اعتناقه الدين الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: قضية؛ حسان؛ معايير؛ شعر؛ التزام.

Abstract:

This study is about the issue of adherence to Islamic standards of literature (the poetry of Hassan bin Thabit as an example). The study aimed to understand the issue of adherence to Islamic standards of literature. Which led to a change in the style and meanings of poetry through the poets being influenced by the style of the Holy Qur'an and the Noble Prophet's Hadith, which led to the choice of easy words and structures that lead to serving Islam and what it calls for. Then it was mentioned that the poet Hassan bin Thabit was influenced by the issue of adherence to Islamic standards of literature in most of his poetic works, starting with lamentation, and passing through poetry, pride, satire, and praise. The study followed the historical and inductive approach. The study concluded with a number of results, in general: the emergence of new meanings in most of the objects of Hassan bin Thabit's poetry, in which he adhered to Islamic standards of literature after his conversion to the Islamic religion.

Keywords: issue; Hassan; Standards; Poetry; commitment.

* المؤلف المرسل: د. عمار عبد الرحمن إسماعيل أمبدة، ammanb059@gmail.com

1.مقدمة

الحمد لله الموفِّق لكلِّ خير، والحاثّ على كل بر، والدّال على كل فضل وإحسان. والصلاة والسلام على قدوتنا وحبيبنا محمد(صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهداه إلى يوم الدين وبعد:

أحدث الإسلام تغييراً فكرياً في حياة الأمة العربية، شمل نواحي الحياة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً، ويظهر ذلك في معظم أغراض الشعراء المعروفة، ولعلّ من أبرز الشعراء حسّان بن ثابت الذي تأثّر بالإسلام تأثيراً عظيماً، حيث أننا نلمس في كلامه معانٍ جديدة مستمدّة من القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف، كتفصيل بعض العقائد والشّعائر من توحيد وتنزيه وثواب وعقاب. وغيرها من الألفاظ التي أعطاها الإسلام إحياء جديداً ونثرها حسّان بن ثابت في شعره.

ومن هنا استطاع حسّان بن ثابت أن يسجّل أحداث الفجر الإسلامي، ويطلعنا على أخبار الرّسول –صلى الله عليه وسلم– في معظم غاراته وغزواته، كما يطلعنا على أسماء الصّحابة وأعداء الإسلام. وهكذا كان حسّان بن ثابت هو مؤسس الشّعر الدّيني في الإسلام؛ وشعره فاتحةً للشّعر السّياسي الذي ازدهر في عصر بني أمية.

1. 1. أهمية الموضوع: تأتي أهمية هذا الموضوع أنه يقدّم دارسة أدبيّة لقضية الالتزام بالمعايير الإسلامية للأدب؛ وأثر ذلك في شعر حسّان بن ثابت بعد إسلامه.

1. 2. أهداف الموضوع: الهدف من دراسة الموضوع التالي:

– تأثير قضية الالتزام بالمعايير الإسلامية للأدب على الشّعراء عبر العصور الأدبية المختلفة.

– كيف التزم حسان بن ثابت في شعره الإسلامي بالمعايير الإسلامية للأدب؟

– سمات شعر حسان بن ثابت في الإسلام.

1. 3. الدراسات السابقة: على حسب اطلاعي لم يتوفر للباحث أي رسالة جامعية تناولت دراسة قضية الالتزام بالمعايير الإسلامية للأدب في شعر حسان بصورة منفردة، ولكن هناك عدد من الدّراسات السّابقة التي استفاد منها الباحث، وهي:

– حسان بن ثابت في معايير النّقد قديماً وحديثاً، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد كلية التربية، الباحثة: بان حميد فرحان الراوي، 2005م

– ثقافة حسان بن ثابت ومظاهرها في شعره، رسالة دكتوراه جامعة الموصل كلية الآداب، الباحث: تحسين درويش، 2020م

– أثر الإسلام في شعر حسان بن ثابت، رسالة ماجستير، جامعة أمدرمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، الباحث: حامد محمد معشي، 1999م

1. 4. حدود الدراسة:

– حدود زمانية: فترة حياة حسّان بن ثابت في الإسلام وهي ستين سنة، وذلك على حسب رواية المؤرخين.

– حدود مكانية: ما قيل من شعر لحسّان بن ثابت في منطقة الجزيرة العربية بحدودها الجغرافية المعروفة.

1. 5. منهج الدراسة: اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج التاريخي والاستقرائي.

1. 6. هيكل الدراسة: قسم الباحث هذه الدراسة إلى ثلاثة عناوين كالتالي:

– مفهوم قضية الالتزام بالمعايير الإسلامية للأدب.

– قضية الالتزام بالمعايير الإسلامية للأدب في شعر حسّان بن ثابت.

– سمات شعر حسان بن ثابت في الإسلام.

2. مفهوم قضية الالتزام بالمعايير الإسلامية للأدب

لا ريب أن الأدب الإسلامي ولد على الالتزام، وبنت في منابته منذ انطلقت قافية على لسان أول شاعر من شعراء الرّسول– صلى الله عليه وسلم– في يثرب. ثم عاش ملتزماً تلك القرون التّي خلت، وسيظلّ ملتزماً بتوفيق الله تعالى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فلقد أرسيت قواعد هذا الالتزام منذ نزلت الآيات الكريمات كما في قوله تعالى:(وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ).1

فالشّعراء الإسلاميون ملتزمون بأن يعملوا الصّالحات؛ وأهل الإصلاح لا يفعلون إلا خيراً. والشّعراء الإسلاميون ملتزمون بأن يذكروا الله كثيراً؛ ومن كان لسانه رطباً بذكر الله لا يزيّف الكلمة ولا يلوّثها. والشّعراء الإسلاميون ملتزمون بالانتصار لدينهم بما يملكون من طاقات فنيّة ومواهب أدبيّة.

وعندما ظهر الإسلام وقد تحكّم في حياة العرب– جاهلية قاسية وعقلية جافة وعصبية مفرّقة– فكان الشّعر مظهر هذه الصّفات وباعثها. فلمّا أعلن الرّسول– صلى الله عليه وسلم– الحرب على هذه الأخلاق تمهيداً لألفة القلوب ووحدة العرب، كان من الطبيعي أن يُنغض الإسلام رأسه إليه، وألا يشجع الناس عليه. وفي الحديث: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً يَرِيَه خيرٌ له من أن يمتلئ فمه شعراً). 2

ولكن بالرّغم من ذلك علم المسلمون أن الدّين لم يكره الشّعر على إطلاقه، وإنّما كره منه ذلك النّوع الذي يمزّق الشّمل ويثير دفائن القلوب. 3

ومن هنا أدّى الالتزام بالمعايير الإسلاميّة للأدب إلى التّغيير في أسلوب الشّعر ومعانيه فقد اختلف بشكل كبير عن أسلوب الشّعر الجاهلي، وذلك من خلال تأثيره بأسلوب القرآن الكريم؛ وأسلوب الحديث النّبوي الشّريف، وتأثّره بعاطفة المسلم الرّقيقة. فالورع والتّقوى ومخافة الله أوجدت أسلوباً يبتعد عن الجفاء والغلظة والخشونة التّي هي أبرز سمات الشّعر الجاهلي.

ومن ثمّ أصبح الشّاعر الإسلامي يختار الألفاظ والتّراكيب السّهلة التي تؤدّي إلى خدمة الإسلام وما يدعو إليه، وذلك من خلال استخدامه لمعاني القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف.

لذلك نجد الإسلام نهى الشّعراء إلى قول الشّعر الذي يدعو إلى العصبيّة والغزل الفاحش والمدح الكاذب ووصف الخمر. ولكنه –أي الإسلام– أثبت بعض القيم التي كانت متداولة لدى الشعراء؛ ولكن مع تغير القيم التي يعتمدون عليها في تلك المعاني، فإذا كانت قيم المدح في الجاهلية هي الشّجاعة والكرم والجود، فإنها في الإسلام تعني التّمسك بالدّين والتّحلي بحسن الخلق والورع والزّهد، وهكذا في بقية الأغراض الأخرى.

اتسع نطاق الالتزام بالمعايير الإسلامية للأدب بعد نزول القرآن الكريم، وتنامى هذا الالتزام عند كثيرٍ من الشّعراء وذلك عبر العصور الأدبية المختلفة، ابتداءً بعصر صدر الإسلام، حيث نجد الشّعراء– وخاصةً المخضرمين– الذين كانوا يصدرون في جوانب من أشعارهم عن قيم الإسلام الروحيّة التي آمنوا بها وخالطت شغاف قلوبهم. فهم الذين وقفوا مع الرّسول– صلى الله عليه وسلم– منذ نزوله بين ظهرانيهم يدافعون عن دعوته مصوّرين لهديه الكريم. يتقدّمهم حسّان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن روَّاحة، وكان عبد الله بن روّاحة خاصةً دائم الاستمداد من القرآن الكريم يستلهمه في هجائه للمشركين بقوله" الوافر": 4

شهدت بأنَّ وعْدَ اللَّه حقٌّ وأنَّ النار مَثْوى الكافرينا

ونمضي في هذا العصر– أي صدر الإسلام– حتى نجد للإسلام أثراً كبيراً في نفوس الشّعراء في معظم أغراض الشّعر المعروفة، خاصةً ما يعرف في هذا العصر بشعر الجهاد والفتوح الذي من خلاله تظهر لنا القيم الإسلامية العالية، وذلك مثل قول جعفر بن أبي طالب وهو يتقدم المقاتلين في معركة مُؤتة" الرجز": [5]

يا حبّذا الجنّةُ واقترابُهـا طيّبةً وبارداً شرابُها

والرّوم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

عليّ إن لاقيتُها ضرابُها

هذه الأبيات تحمل مضموناً إنسانياً سامياً يعبّر عن رغبة المقاتل العربي المسلم في الشهادة دفاعاً عن دينه، وتصدياً لقوى الكفر والاستبداد والقهر.[6]

وهناك شعراء آخرون في هذا العصر سلكوا طريق الالتزام بالمعايير الإسلامية، ونحن نحس عندهم أثر الإسلام واضحاً في أشعارهم حتى ولو أسلموا في سنٍّ كبيرة، وذلك مثل قول الحُصين بن الحُمام سيد بني مّرة الذبيانيين: [7]

ويوم تسعَّر فيه الحروبُ لبستُ إلى الرَّوعِ سِرْبالها

فلم يبق من ذاك إلا التُّقى ونفــسٌ تعالج آجالهـا

أمورٌ من الله فوق السماءِ مقاديـرُ تنــزلُ أنزالها
أعوذ بربي من المخْزيـات يوم ترى النفسُ أعمالها
وخَفَّ الموازينُ بالكافريــن وزُلْزِلتِ الأرض زِلْزالَهـا

والصّلة واضحة بين هذه الأبيات وآي الذّكر الحكيم مثل قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ). [8] وقوله تعالى:(هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ). [9] وقوله تعالى:(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا).[10] وهكذا.

وإذا نظرنا إلى بقية العصور الأدبيّة الأخرى مروراً بالعصر الأموي إلى عصرنا الحالي؛ فمن الطّبيعي أن تؤثّر قضية الالتزام بالمعايير الإسلاميّة في موضوعات الشّعر المعروفة. وهو تأثير يقوى ويضعف حسب نفسية الشّعراء، إذ كان بينهم من تعمقه الإسلام ومن لم يتغلغل إلى أعماقه. على أنهم جميعاً كانوا يستظلون بظلاله، وكان من حولهم الوعاظ والنّساك يذيعون في مختلف الأجواء عبر وعظهم ونُسكهم، سواء في المساجد الجامعة أو في مقدّمات الجيوش الغازية.

وكانوا ما يزالون يحدِّثون النّاس عن البعث والثواب والعقاب ونعيم الجنّة وعذاب النّار داعين دعوة واسعة إلى التّقوى والزّهد في متاع الدّنيا. وترامت من هذه المواعظ من القرآن الكريم وأحاديث الرّسول- صلى الله عليه وسلم- وأقوال الصّحابة أشعة كثيرة نفذت إلى نفوس الشّعراء وانعكست في أشعارهم على اختلاف موضوعاتها.[11]

3. قضية الالتزام بالمعايير الإسلاميّة للأدب في شعر حسّان بن ثابت

عاش شعراء الإسلام الأوائل، وعلى رأسهم حسان بن ثابت، في إطار هذا الالتزام، وهم ينافحون عن الدّعوة، ويدفعون هجمات الشّرك والوثنيّة عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ويسفّهون أحلام الجاهلية والضّلال، ويرسمون المنهج السّليم لحركة الإنسان المؤمن في الحياة. والحديث في هذا العنوان يقودنا- أولاً- للوقوف حول شعر حسّان بن ثابت في الجاهلية؛ حتى يتبين لنا سمات معاني شعره التي هاجمها الإسلام بكلّ قوة.

3. 1. شعر حسان بن ثابت في الجاهلية:

كان حسّان بن ثابت في الجاهلية شديد العصبيّة لقومه، لا يتعرّض أحدهم لسوء إلا انبرى مدافعاً عنه بشعره، يشيد بمناقبهم، ويهجو أعداءهم، وهذه العصبيّة تفسير لكثرة الهجاء والفخر في شعره الجاهلي، وكانت عصبيته هذه بادية في الصّراع القائم بين الأوس والخزرج، وخير مثال على ذلك قصائده في يوم الربيع ويوم خطمة ويوم بعاث، أما ترى قوله يرد على شاعر الأوس قيس بن الخطيم هاجياً الأوس، ومفتخراً بقبيلته" الطويل": [12]

فلا تعجلن يا قيس وأربع فإنما قصاراك أن تلقى بكل مهنَّد
حسام وأرماح بأيدي أعزةٍ متى ترهم يا ابن الخطيم تبلَّد
ليوث لها الأشبال تحمي عرينها مداعيس بالخطي في كل مشهد
فقد ذاقت الأوس القتال وطرَّدت وأنت لدى الكنَّات في كل مطرد
نفتكم عن العلياء أم لئيمة وزند متى تقدح به النار يصلد

والأبيات يصف فيها حسّان قوة قومه الخزرج على الأوس في ساحات الوغى ذاكراً الطَّعن بالسيوف والرّماح، حتى هزموا هزيمة نكرا أدت إلى طردهم. وبهذه القوة هم كالأسود التي تحمي أشبالها من هجوم الحيوانات المفترسة في كلّ زمانٍ ومكانٍ. وفي أبياتٍ أخرى يفتخر بنسبه، إذ أنهم ملوك وأبناء ملوك وأهل عزَّة وشرف وحسب ونسب ومكانة عالية وسط النّاس" الطويل": [13]

ألم ترنا أولاد عمرو بن عامرٍ لنا شرفٌ يعلو على كل مرتقي
رسا في قرار الأرض ثم سمت له فُرع تُسامى كلّ نجمٍ مُحلِّق
ملوكٌ وأبناء الملوك كأنّنا سواري نجوم طالعات بمشرق
إذا غاب منها كوكب لاح بعده شهاب متى ما يبد للأرض تُشرق
لكل نجيب منجب زخرت به مهذَّبةٌ أعراقها لم تُرهَّقِ

كما أن حسّان بن ثابت في الجاهلية كان يتّصل بأقربائه الغساسنة، في الشّام يمدحهم وينال عطاياهم وجوائزهم. وتعتبر قصائده في مدح الغساسنة من أجود شعر المدح الجاهلي، وهو يريد بهذا المديح موازنة سياسية يكسب منها موقف الحياد ولو في صورة شكلية، يقول في لاميته المشهورة مادحاً الغساسنة" الكامل": [14]

لله درّ عصابةٍ نادمتهم يَوْمًا بجلّق فِي الزَّمَان الأوّل
أَوْلَادُ جَفْنَة حول قبر أَبِيهِم قبر ابْن مَارِيَة الْكَرِيم الْمفضل
يغشون حتّى مَا تهرّ كلابهم لَا يسْأَلُون عَن السّواد الْمقبل
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
يسقون درياق الرّحيق وَلم تكن تدعى ولائدهم لنقف الحنظل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شُمُّ الأنوف من الطّراز الأول

يشير حسّان في هذه الأبيات إلى مكانة آل جفنة من الغساسنة في دمشق، ذاكراً عزتهم وحميتهم ومكانتهم، وبأنهم ملوك في سعة لا يحتاجون إلى ما يحتاج إليه العرب من نقف الحنظل، ولا يبالون من نزل بهم من النّاس ولا يهمّهم الجمع الكثير، ولا تخلوا منازلهم من الطّراق والعفاة، حتى تعودت كلابهم أن ترى من يقصد منازلهم.

وإذا نظرنا إلى شعر الهجاء عند حسّان نلاحظ أن هناك أساليب جاهلية واضحة تتأذى منها النّفوس، وذلك مثل قوله هاجياً بني رحضة من بني غفار من كنانة" البسيط": [15]

يا آل بكر ألا تنهـــون جاهلكـــم عبد ابن رحضة عنزاً بين أتياس

يا ابن التي سلحت في بيت جارتها فطار منه عصار قاشـب الناس

كأنّ أظفارها شققن مـــن حجـر فليس منهـن إلا وارم قاســـي

مثل القرود إذا ما جئي ناديهـــم ألفيت كل دنيّ عـــرده عاسي

ولا شك أن العبارات التي استخدمها الشّاعر تدلّ على الهجاء المرّ مثل قوله: (عنزاً بين أتياس- كأنّ أظفارها شققن....)، (مثل القرود....) وهكذا.

كان حسّان في الجاهلية يذهب إلى مجالس الشرب واللهو، ليشرب الخمر ويستمع إلى غناء القيان، وكان شديد الولع بالخمر أما ترى قوله هذا" الكامل": [16]

وَلَقَد شربت الخمر فِي حانوتها صهباء صافيةٌ كطعم الفلفـل

يسْعَى عليّ بكأسها متنطّـفٌ فيعلّني مِنْهَا وَلو لم أنهـــل

إنّ الَّتِي ناولتني فرددتهـــا قتلت قتلت فهاتها لـــم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجةٍ أرخاهما للمفصـــل

بزجاجةٍ رقصت بمل فِي قعرها رقص القلوص براكبٍ مستعجل

ومن هنا يشير حسّان إلى نوع الخمر من العنب الأبيض التي تلذع اللّسان بطعمها كالفلفل، ساعياً إلى شرابها في كلّ وقتٍ وحين. وفي نهاية هذه الفقرة يتّضح لنا أن هناك سمات جاهلية واضحة في شعر حسان بن ثابت؛ وذلك من خلال افتخاره بقبيلته التي هي دائماً وأبداً تسموا على جميع القبائل الجاهلية في شتّى مجالات الحياة اليومية. ومدحه لملوك الغساسنة والمناذرة الذين أكرموه وأغدقوا عليه العطايا وجعلوا له مرتباً سنوياً. وهجائه الشّنيع لأعدائه، وشربه للخمر والاستمتاع بالغناء وما يتبعه من لهو وعبث، وغير ذلك من سمات شعره الجاهلي.

3. 2. شعر حسّان بن ثابت في الإسلام:

لم يمكث حسّان بن ثابت طويلاً عند المناذرة فعاد إلى الغساسنة وأدركه الإسلام وهو في المدينة بعد هجرة الرّسول- صلى الله عليه وسلم- ومنذ ذلك الحين أوقف جل شعره على الدّعوة الإسلامية، يدعو لها ويذبّ عنها ويهجو أعداءها.[17]

إذاً حضر حسّان الإسلام وقال فيه شعراً معتبراً، يعكس بوضوح في كلّ تعابيره الشّعرية الإسلامية؛ فقد كان قيادياً يتزعّم مدرسة المدينة الشّعرية. كما كان وثيق الصّلة بصاحب الرسالة الخاتمة(صلوات الله وسلامه عليه).[18]

ولما أخذ شعراء قريش في هجاء النبي- صلى الله عليه وسلم- وصحبه من المسلمين، تصدى لهم حسّان بلاذع هجائه. وكان الرّسول- صلى الله عليه وسلم- يحثّه على ذلك ويدعو له بمثل:(اللهم أيده بروح القدس).[19]

وفي حديث آخر قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لحسّان:" أُهجهم أو هاجهم وجبريل معك".[20] ومن أجل ذلك قال حسّان :(.... والذي بعثك بالحق لأفرينّهم بلساني فري الأديم، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:(لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وأن لي فيهم نسباً حتى يلخص لك نسبي) فأتاه حسان ثم رجع فقال: يا رسول الله لقد لخص لي نسبك. والذي بعثك بالحق لأسلّنك منهم كما تُسلّ الشّعرة من العجين).[21]

ومنذ أصبح حسّان شاعر الرّسول- صلى الله عليه وسلم- وقف شعره على المنافحة عنه، ومصاولة أعدائه وأعداء المسلمين، وذكر غزوات الرّسول- صلى الله عليه وسلم- ووقائعه، ومفاخرة شعراء الوفود ورثاء الشّهداء، فكان شعره في تلك الحقبة سجلًّا تاريخياً لجميع الأحداث التي توالت على المسلمين، وغلب منذ ذلك الحين الطابع الإسلامي على جُلّ أغراضه. يقول حسّان بن ثابت معلناً إيمانه برسالة النّبي- صلى الله عليه وسلم- والرّسالات السّماويّة السّابقة، وما جاء به الرّسل -عليهم السّلام- ويخصّص لها مقطوعة شعريّة يقول فيها" الطويل":[22]

شهدتُ بإذن الله أن محمـــــداً رسول الله الذي فوق السماوات من علُ
وأن أبا يحيى ويحيى كليهمـــا له عمل فـــي دينـــه متقبـــل
وأن التي بالجزع من بطن نخلـة ومن دانها فلٌّ مـــن الخير معـــزل
وأن الذي عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذي العرش مرسـل
وأن أخا الأحقاف إذ يعذلونـــه يقوم بدين الله فيهـــم فيعـــدل

وفي الأبيات يعلن الشّاعر إيمانه بالرّسالات السّماوية السّابقة، وهو خضوع لما جاء في الدّعوة المحمديةّ، يتجلى ذلك في تعالق هذه الأبيات مع آي القرآن الكريم فيحمل البيت الثّاني إشارة إلى قصة سيدنا زكريا وابنه يحيى -عليهما السّلام- كما في قوله تعالى:(ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا... وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا).[23]

ثم يعلن في البيت الثّالث البراءة من عبادة الأصنام؛ مشيراً إلى العزّى؛ وهو صنم لقريش وبني كنانة، وفي البيت الرابع يذكر سيدنا عيسى- عليه السلام- وقد جاء ذلك في قوله تعالى:(فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا... ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ). [24] أما في البيت الآخير يتكلم عن النّبي هود- عليه السّلام- مع قومه عاد متكئاً على ما ورد في الذّكر الحكيم من ذكرٍ لقصته، كما في قوله تعالى:(وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ...) [25]. كما تشير الأبيات إلى الحديث الشريف في قوله –صلى الله عليه وسلم- (..... أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر)[26]. وإذا نظرنا إلى بقية الأغراض الأخرى نلحظ تأثيراً واضحاً بالمعايير الإسلامية للأدب في شعر حسّان؛ ومن هذه الأغراض الغزل:

من المعروف أن ألفاظ الغزل عند حسّان في الجاهلية لا تخرج عادةً من بعض أنماط الغزل الجاهلي؛ خاصةً ما يعرف بغزل المطالع الذي يجعل الشّاعر يقف على ديار المحبوبة باكياً عليه وعلى فراقها. ومن ثم يميل الشّاعر الجاهلي إلى الحديث مع ناقته ليحملها همومه بعد انقطاع حبل الوصل بينه وبين محبوبته. وفي ذلك نرى حسّان بعد دخوله الإسلام أصبح يبث همّه وشكواه وإقباله لرب العالمين كما في قوله" الكامل":[27]

فدع الدّيار وذكر كل خريـــدة بيضاء آنسة الحديث كعاب

واشك الهموم إلى الإله وما ترى من معشر متألّبين غضـــاب

أو المجي إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- الذي يقدّم الأمن لأصحابه، يقول: " البسيط" [28]

زادت هموم فماء العين ينحـــدر سحّاً إذا أغرقته عبـــرة دَرِرُ

وجداً بشعثاء إذ شعثاء بهكنـــة هيفاء لا دنس فيها ولا خـــور

دع عنك شعثاء إذا كانت مودتها نزراً وشرّ وصال الوصل النّـزر

وأتِ الرسول فقل يا خير مؤتمنٍ للمؤمنين إذا ما عُدّل البشـــر

وكأنّ هذا التعانق الاجتماعي تحت جناح رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يشفي الهمّ ويخلص من معاناة الوجد الذي يتألّم منه حسّان.

أمّا الرّثاء فهو عادةً يكون لقريبٍ من القبيلة تؤلم الشاعر فاجعة موته حين تحل فيهم، ولكن الرّثاء عند حسّان في الإسلام هو عبارة عن ظهور تآلف أخوي جديد في الله ليس لقرابة ولا لقبيلة.يقول في رثاء عثمان بن عفان- رضي الله عنه-: " البسيط"[29]

يا للرجال لدمع هاج بالسَّنن إني عجبت لمن يبكي على الدَّمن
إني رأيت أمين الله مضطهداً عثمان رهنا لدى الأجداث والكفـن
إذا تذكرته فاضت بأربعــةٍ عيني بدمع على الخدّين مُخْتتـنِ

وقال في رثاء أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- :" البسيط" [30]

إذا تذكّرت شجواً من أخي ثقــةٍ فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعـلا
التالي الثاني المحمود مشهــــده وأوّل الناس طراّ صدّق الرّسلا
والثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدوُّ به إذ صعّد الجبلا
وكان حبّ رسول الله قـد علمــوا من البرية لم يعدل به رجــلا
خير البريّة أتقاها وأعدلهــــا بعد النبيّ وأوفاها بما حمــلا

والتأثير واضح لهذه المعاني الواردة في الأبيات، فهي معاني نصّت عليها الآيات القرآنية في حادثة الهجرة؛ كما في قوله تعالى:(إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [31]. وفي رثائه لرسول الله-صلى الله عليه وسلم- يثني عليه إذ جاء مصدقاً للأنبياء السابقين في قوله:" البسيط"[32]

من الذي كان نوراً يستضاء به مبارك الأمر ذا عدل وإرشــاد
مصدّقاً للنّبيين الأُلى سلفــوا وأبذل الناس للمعروف للجادي

وفي هذا لم يخرج عن المعاني القرآنية التي تنص على تصديق رسالة الإسلام للأديان السّابقة في كثيرٍ من سور القرآن الكريم. وإذا نظرنا إلى فخر حسان في الإسلام يتضح لنا بأنه تخلّى عن الفخر الفردي والفخر بالقبيلة، واستبدل كلّ هذا بفخر الأمة الإسلامية، يقول مفتخراً: " الكامل"[33]

ينتابنا جبريل في أبياتنــــا بفرائض الإسلام والأحكـام
يتلو علينا النور فيها محكماً قسماً لعمرك ليس كالأقسام
فنكون أول مستحلّ حلالــه ومحرم لله كل حـــــرام
نحن الخيار من البرية كلهـا ونظامها وزمام كلّ زمــام

وواضح في ذلك لم يعد يفخر حسّان بشجاعته وقوّته مخصّصاً لخدمة القبيلة والمجد الفردي، وإنما صار يصب في خدمة المجتمع جميعاً بعد أن أوضحت له عقيدته الإسلامية أن عزّ القبيلة من عزّ العرب، وأن المجد الذي يسعى إلى تحقيقه لقبيلته يبقى ناقصاً إذا بقيت القبائل العربية مجزأة ضعيفة. [34]

وبذا فإن الإسلام أراد أن يحول شاعر القبيلة إلى شاعر الأمة جمعا، ومن هنا نجد حسان بن ثابت يردد الاسم الجديد لقبيلته وهم الأنصار فضلاً عن قبيلته الخزرج، ويفاخر الشّاعر بهذا الاسم كقوله: " البسيط"[35]

علام تدعى سليم وهي نازحـــة أمام قوم هم آووا وهم نصــروا
سماهم الله أنصاراً لنصرهـــــم دين الهدى وعوان الحرب تسعير
وجاهدو في سبيل الله واعترفـوا للنائبات فما خاموا ولا ضجــروا
وكم رددنا ببدرٍ دون ما طلبـــوا أهل النفاق وفينا أنزل الظفـــر
ونحن جندك يوم النّعف من أحـد إذ حزبت بطرا أشياعها مضـــر

ويبدو أن الحافز لهذا التّفاخر يرتبط بشكل مباشر بسبب التّسمية التي وردة في القرآن الكريم كقوله تعالى:(وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .[36]

أما الهجاء في شعر حسان الإسلامي بُنِيَ على أسس جديدة، فإذا كان الكرم من صفات الجاهلية الحميدة التي أثبتها الإسلام، فإن ذلك لا يكفي إذا كان صاحبه بعيداً عن طريق الحق؛ فحسّان يهجو أبا جهل، ولم يشفع له ما عرف به من كرم: [37]

وإن تك مطعام العشيّات من غنىً فإنك حيّادٌ عن الحقِّ مانع
وزادك ذمٌ في الحياة وإن تمت فخظّك ركنٌ من جهنم واسع

فالتّحول واضح تماماً في هذه الأبيات حيث أن أبا جهل كان كريماً في الجاهلية، ولكن هذا الكرم لا ينفعه ما دام مشركاً، فجزائه جهنم إذا مات على كفره. وفي موضعٍ آخر يهجو أبا سفيان، ولكنه ساوى بين مدح الكفار وذمهم لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولم يأت ذلك من النظر إلى المضامين الشعرية، وإنما جاء الدفاع وراء ذلك الحكم من النظر إلى مصدر ذلك الشعر، لأنه صادر من عدوٍ كافر يحمل صفة الكفر؛ والكفر هو شر بعينه، ولا يتحمل صدور الخير منه، لذلك استوت لديه هذ المتضادات، يقول: " الوافر": [38]

ألا أبلغ أَبَا سُفْيَان عنـــي فأنت مجوف نخبٌ هـواء

بِأَن سُيُوفنَا تركتك عبـــداً وَعبد الدَّار سادتها الْإِمَاء
هجوت مُحَمَّدًا فأجبت عَنـهُ وَعند الله فِي ذَاك الْجَزَاء
أتهجوه وَلست لَـــهُ بكفء فشركما لخيركما الْفِـدَاء
هجوت مُبَارَكًا براً حَنِيفـــا أَمِين الله شيمته الْوَفَـاء
أفمن يهجو رَسُول الله مِنْكُم ويمدحه وينصره سَـــوَاء

ويقول ذاكراً حمزة–رضي الله عنه–وهاجياً المشركين يوم أحد: " الطويل" [39]

فإن تذكروا قتلى وحمزة فيهـم قتيل ثوى لله وهو مطيـــع
فإن جنان الخلد منزله بهـــا وأمر الذي يقضي الأمور سريع
وقتلاكم في النار أفضل رزقهم حميم معاً في جوفها وضريـع

ومن الواضح هناك تأير بألفاظ القرآن الكريم خاصةً في البيت الأخير وهو استخدامه لكلمة (ضريع) التي لم تعرف إلا في القرآن الكريم كما في قوله تعالى:(لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) [40]. وكذلك وظّف حسّان بن ثابت القصص القرآنية ردوداً على هجاء شعراء المشركين للنبي–صلى الله عليه وسلم–كما جاء في قوله: " الطويل"[41]

يكون إذا بث الهجاء لقومه ولاح شهاب من سناء الحرب واقد
كأشقى ثمود إذ تعطّى لحينه عضيلة أم السّقبِ والسقـــبُ وارد
فولى فأوفى عاقلاً رأس صخرة نمى فرعها واشتد منها القواعد
فقال ألا فاستمعوا في دياركم فقد جاءكم ذكر لكم ومواعـــد
ثلاثة أيام من الدهر لم يكـن لهن بتصديق الذي قال رائـــد

وفي الأبيات وظّف الشّاعر قصة النبّي صالح– عليه السّلام– مع قومه، فمن حاول هجاء الرّسول– صلى الله عليه وسلم– فإنه يجره الهلاك والدّمار على قومه، كما فعل أحمر ثمود عندما عقر النّاقة فجلب إلى قومه غضب الله تعالى وحلّ بهم الهلاك، وما كان الشّاعر أن يضمن مثل هذه القصص لولا استخدامه لمعاني القرآن الكريم في قوله تعالى:(إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ * فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ). [42]

وإذا نظرنا إلى المدح في شعر حسّان بن ثابت، نجد أغلبه موجه لمدح النبي (صلى الله عليه وسلم) إذ هو المثل الأعلى لكل مسلم في تقواه ونسكه وورعه وامتثاله لأوامر ربه. والقرآن الكريم يشير إلى ذلك قال تعالى:(لَقَدْ كَانَ

لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)[43]. يقول حسّان مادحاً النبي – صلى الله عليه وسلم–: " الطويل"[44]

أغرُّ عَلَيْهِ للنبــوة خَاتـــمٌ من الله مشهودٌ يلوح وَيشْهـــد
وَضم الْإِلَه اسْم النَّبِي إِلَى اسْمه إِذا قَالَ فِي الْخمس الْمُؤَذّن اشْهَـدْ
وشق لَهُ من اسْمــه ليجلــه فذو الْعَرْش مَحْمُود وَهَذَا مُحَمَّــد
نبيٌّ أتانا بعــد يأس وفتـــرة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجاً مستنيراً وهاديــاً يلوح كما لاح الصقيل المهنـــد
وأنذرنا ناراً وبشـــر جنـــةً وعلمنا الإســـلام فالله نحمـــد

وفي الأبيات يشير الشّاعر إلى تأثّره بالإسلام، وذلك من خلال ذكره في البيت الأول للنبي–صلى الله عليه وسلم– بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين متأثراً بقوله تعالى:(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) [45]. وفي البيت الثّاني تأثّر الشّاعر بقول المؤذّن:(أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله) وفي البيت الثّالث تأثّر بقوله تعالى:(مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ...) [46]. وفي البيت الرابع تأثر بقوله تعالى:(يَأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [47].ويستمر هكذا إلى يختم أبياته بالإيمان المطلق لله تعالى وتنزيهه عن كل شرك ادّعى به المشركون ويختم هذه الشّهادة، بإخلاص العبادة وطلب العون يقول: " الطويل"[48]

وأنت إله الحق ربــي وخالقـــي بذلك ما عمّرت في الناس أشهد
تعاليت ربّ الناس عن قول من دعا سواك إلهاً أنت أعلى وأمجـــد
لك الخلق والنّعماء والأمـــر كلّـه فإياك نستهدي وإياك نعبـــد

وفي هذه اللّوحة تشاكل مع الآيات القرآنية، قوله تعالى:(وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ)[49]. أما البيت الأخير ففيه تعالق مع سورة الفاتحة، في قوله تعالى:(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [50].

4. سمات شعر حسان بن ثابت في الإسلام

المتأمل لشعر حسان بن ثابت في الإسلام يجد أن هناك مميّزات وسمات واضحة تميّز بها. ولعّل أول ما يلحظ هو تميّزه بخاصية لغوية في ألفاظه وتراكيبه ومعانيه. حيث جاءت ألفاظه وتراكيبه ومعانيه سهلة رقيقة عذبة واضحة، ليس فيها غرابة وخشونة وتعقيد، صادقة خالية من الكذب. حتى قيل له: "شعرك هرم في الإسلام يا أبا الحسام". فقال للقائل: "يا ابن أخي إن الإسلام يحجز عن الكذب، وإن الشّعر يزينه الكذب". يعني أن شأن التّجويد في الشّعر الافراط في الوصف والتّزين بغير الحق وذلك كله كذب [51].

إن لغة شعر حسان تميزت بمناسبتها للموضوع الذي يتناوله، فإذا مدح شخصاً يمدحه إلى بما فيه. يقول مادحاً الرسول– صلى الله عليه وسلم–:" الوافر"[52]

وأحسن منك لم ترَ قطُّ عيني وأجمل منك لم تلدِ النساء

خلقتَ مبرءاً من كلّ عيــب كأنّك قد خلقت كما تشاء

لا شكّ أن الألفاظ والعبارات التي استخدمها في هذه الأبيات، تدل على صدقها ومناسبتها للممدوح. وهكذا في بقية أغراض شعره الأخرى. ويتسم شعر حسان بالمعاني الإسلامية الجديدة التي لم تعرفها العرب من قبل. كذكر اسم الملائكة، والمؤمنين، والكفار، والمنافقين، وأسماء الكتب السّماوية، وأسماء مناسك الحج، وأسماء يوم القيامة، وذكر الجنة ونعيمها، والنار وجحيمها، وغيرها. منها على سبيل المثال في قوله ذاكراً يوم القيامة، والجنة ونعيمها: " البسيط"[53]

فاذهبْ خبيبُ جزاكَ اللهُ طيبةً وجنةَ الخلدِ عندَ الحورِ في الرفقِ

ماذا تقولونَ إنْ قالَ النبيُّ لكمْ حينَ الملائكةُ الأبرارُ في الأفــقِ

ومن سمات شعره الأخرى تعدد الأساليب وتنوعها، منها: الاقتباس من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف. والأمثال في ذلك كثيرة. كما ذكر في العنوان الثاني.

ومنها التّضمين: بمعنى أن يتضمّن الشّاعر كلامه شيئاً من شعر الغير أو بيتاً على ذلك إلا إذا كان مشهوراً فإن شهرته تكفي عن التنبيه عليه، فإن لم يكن مشهوراً ولم ينبه عليه كان سرقة [54]. ومن أمثلة التضمين الواضحة في شعر حسان قوله: " البسيط"[55]

لقَدْ علِمْتُ بأنّي غالِبي خُلُقــي على السماحة صعلوكاً وذا مــــالِ

والمالُ يَغْشَى أُنَاساً لا طَبَاخَ لهُمْ كالسيلِ يغشى أصولَ الدندنِ البالي

أصونُ عرضي بمالي لا أدنسهُ لا بَارَكَ اللَّهُ بعدَ العِرْضِ في المالِ
أحتالُ للمالِ إن أودى فأجمعهُ ولسْتُ لِلعِرْضِ إن أوْدَى بمُحتالِ
والفَقْرُ يُزْري بأقوَامٍ ذَوي حسَبٍ ويقتدى بلئامِ الأصلِ أنذالِ

فتضمين حسان بن ثابت جاء به من قول لحية بن خلف الطائي لما خطب امرأة من بني شحمي بن جرم يقال لها أسماء وكانت تقول ما لحية مال فقال يجيبها: " البسيط"[56]

تقول أسماء لما جئت خاطبها يا حي ما أربى إلا لذي مال
أسماء لا تفعليها رب ذي إبل يغشى الفواحش لا عف ولا نال
الفقر يزري بأقوام ذوي حسب وقد يسود غير السيد المال
والمال يغشى أناس لا طباخ لهم كالسيل يغشى أصول الدندن البالي
أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال إن أودى فأكسبه ولست للعرض إن أودى بمحتال

وكذلك التأثر بالتاريخ وحوادثه: يظهر التأثر بالتاريخ وحوادثه على أسلوب شعر حسان؛ فكثيراً ما نراه يردد أسماء شخصيات تاريخية، أو حوادث، أو إشارات، أو غيرها. على نحو ما يتمثل ذلك في قوله عن الأنبياء السابقين مع أقوامهم: " الطويل"[57]

شهدتُ بإذنِ اللهِ أنّ محمداً رَسُولُ الذي فَوْقَ السماوات مِن عَلُ
وَأنّ أبا يَحْيَى ويَحْيَى كِلَيْهِما لَهُ عَمَلٌ في دينِهِ مُتَقَبَّلُ
وأنّ الذي عادى اليهودُ ابنَ مريمٍ رَسولٌ أتى من عندِ ذي العرْش مُرْسَلُ
وأنّ أخَا الأحْقَافِ إذ يعْذُلُونَهُ يقومُ بدينِ اللهِ فيهِمْ فيعدلُ

وفي الأبيات هناك إشارات تاريخية للأنبياء السابقين مع أقوامهم، كقصة سيدنا زكريا وابنه يحيى- عليهما السلام- مع بني إسرائيل. وقصة سيدنا عيسى- عليه السلام- مع اليهود. وقصة سيدنا هود- عليه السلام- مع قومه عاد. ومن سمات شعر حسان الصّور الفنية التي تكسب القصيدة جرساً موسيقياً عذباً؛ الموسيقى الخارجية، والموسيقى الداخلية.

أما الموسيقى الخارجية تعتمد على الوزن والقافية. حيث نجد أكثر الأوزان شيوعاً في شعر حسان الإسلامي البحر الطويل: ورد ذكره(52 مرة)، يليه الكامل (35)، ثم البسيط (32)، ومن ثم الوافر (28)، ومن بعده المتقارب (7)، يليه الرمل (4)، ثم الخفيف (3)، ومن ثم السريع (2)، وأخيراً كل من المنسرح، والرجز(1).

وعند النظر إلى حروف القافية، يأتي حرف الراء في القمة بعدد (38 مرة) ومن بعده اللام (28)، ومن ثم الدال (24)، ومن بعده الباء (22)، وكذلك الميم (21)، ثم العين (10)، ومن بعده الفاء (5)، يليه النون (4)، ثم القاف (3)، ومن بعده الألف، والحاء (2)، وأخيراً كل من التاء، والجيم، والكاف، والياء (1).

أما الموسيقى الداخلية تعتمد على ألوان البديع منها على سبيل المثال التّكرار والجناس والتّصريع، وغير ذلك من ألوان التّأنّق النّغمي التي تشكل الموسيقى الدّاخلية في شعر حسان الإسلامي. ومن أمثلة التكرار قوله راثياً النّبي- صلى الله عليه وسلم-: " الطويل"[58]

كانَ الضياءُ وكان النورَ نتبعهُ بَعْدَ الإلهِ وكان السّمْعَ والبَصَرَ

لمْ يَتْرُكِ اللَّهُ مِنّا بَعْدَهُ أحَـــداً ولمْ يُعِشْ بعدَهُ أُنْثـى ولا ذَكَرَا

ولا شكّ أنّ الشّاعر قد أفلح في استخدام الموسيقى الداخلية التي أكسبت البيت جرساً موسيقياً عذباً باستخدامه الواضح للتكرار في مصرعي البيتين بين هذه الكلمات (كان، وكان)، (بعده، بعده).

ومن ألوان البديع في شعره ما يعرف بالتّصريع مثل قوله في مخمسٍ يمدح فيه سعد بن زيد الأنصاري:" الرجز"[59]

إذا أرَدْتَ السّيّدَ الأشَـــدّا منَ الرجالِ فعليكَ سعدا

سَعدَ بنَ زَيدٍ، فاتّخِذه جُنْدا ليسَ بخوارٍ يهدُّ هـــدَّا

ليسَ يرى منْ ضربِ كبشٍ بدَّا

فالتّصريع ظاهراً بين الكلمات:(الأشدَّا، هدَّا، بدَّا، سعدا، جندا). والشّاعر لجأ لهذا التصريع ليعطي البيت تآلف موسيقي واضح. ويتسم شعر حسان باللّون البديعي الذي يعرف(بلزوم ما لا يلزم) وهو أن يأتي الشاعر بحرف يلتزم به قبل حرف الروي وهو ليس بلازم. يقول مفتخراً بيوم بدر؛ وقد التزم حرف (الألف) قبل حرف الرّوي (الميم): " الكامل" [60]

وبنو أبيهِ ورهطهُ في معركٍ نَصَرَ الإلهُ بهِ ذوي الإسْـلامِ

لولا الإلهُ وجريها لتركنــهُ جزرَ السباعِ، ودسنهُ بحوامي

طَحَنَتْهُمُ والله يَنْفُذُ أمـــرُهُ حَرْبٌ يُشَبُّ سَعِيرُها بِضِـــرَامِ

ومن السّمات التي تلحظ على شعر حسان الإسلامي أن القصيدة تحتوي على عدة موضوعات مختلفة، بل في بعض الأحيان القصيدة تحتوي على المدح والفخر والهجاء، وتبدأ أحياناً بالغزل؛ وذلك مثل قوله متغزلاً بالوقوف والبكاء على الأطلال: " الوافر"[61]

عفتْ ذاتُ الأصابعِ فالجـواءُ إلى عذراءَ منزلها خـلاءُ
دِيَارٌ مِنْ بَنِي الحَسْحَاسِ قَفْرٌ تعفيها الروامسُ والسماءُ

ويستمر في هذا إلى أن يتخلص مفتخراً بفتح مكة؛ ومادحاً الرسول- صلى الله عليه وسلم-:

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا وكانَ الفَتْحُ وانْكَشَفَ الغِطاءُ
وإلا فاصبروا لجلادِ يـومٍ يعزُّ اللهُ فيهِ منْ يشـــاءُ
وَجِبْرِيلٌ أمِينُ اللَّهِ فِيـــنَا وَرُوحُ القُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أرْسَلْتُ عَبْداً يقولُ الحقَّ إنْ نفعَ البــلاءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ فقلتمْ لا نقومُ ولا نشـــاءُ

ويمضي في ذلك حتى يتخلص لهجاء أبي سفيان بقوله:

ألا أبلغْ أبا سفيانَ عنـي فأنتَ مجوفٌ نخبٌ هـواءُ
بأن سيوفنا تركتك عبـداً وعبد الدار سادتها الإماء
هجوتَ محمداً فأجبتُ عنهُ وعندَ اللهِ في ذاكَ الجـزاءُ
أتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَـهُ بكُفْءٍ فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُمَا الفِـــداءُ

ويستمر في هذا إلى نهاية القصيدة.

5. خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على النّبيّ المصطفى وعلى آله وأصحابه المستكملين الشرفاء، وبعد:

جاءت هذه الدراسة تحت عنوان: قضية الالتزام بالمعايير الإسلامية للأدب(شعر حسان بن ثابت أنموذجاً)، ومن ثم توصل الباحث إلى عددٍ من النتائج أهمها:

1- إن شعر حسّان في مطالع قصائد الغزل تحوّل من البكاء على الأطلال وهمّ الوجد الشّديد لعلاقته القويّة بالمحبوبة، إلى بث الهمّ والشكوى والإقبال لله سبحانه وتعالى.

2- كان الرثاء عند حسّان في الإسلام هو عبارة تآلف أخوي جديد في الله ليس لقرابة ولا لقبيلة. فقد رثى كل قاداة الدولة الإسلامية ابتداءً بالرسول- صلى الله عليه وسلم- ومروراً بصحابته الكرام.

3- افتخر حسان في الإسلام بالأمة الإسلامية جمعا في جميع نواحي الحياة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. بخلاف فخره في الجاهلية الذي كان يوجّه للفرد والقبيلة.

4- أما الهجاء في شعر حسان الإسلامي بُنِيَ على أسس جديدة، فإذا كان الكرم من صفات الجاهلية الحميدة التي أثبتها الإسلام فإن ذلك لا يكفي؛ إذا كان صاحبه بعيداً عن طريق الحق. وهكذا استخدم في الهجاء معاني القرآن الكريم التي تتوعد الكفار بألوان العذاب المختلفة يوم القيامة.

5- المديح في شعر حسّان الإسلامي أغلبه موجّه للنبي- صلى الله عليه وسلم-، حيث استخدم فيه من المعاني القرآنية التي تدل على عظمة ومكانة رسول الله(صلى الله عليه وسلم).

6- اتّسم شعر حسان في الإسلام بخاصية لغوية في ألفاظه وتراكيبه ومعانيه. حيث جاءت ألفاظه وتراكيبه ومعانيه سهلة رقيقة عذبة واضحة، ليس فيها غرابة وخشونة وتعقيد، صادقة خالية من الكذب.

7- ومن سمات شعره الأخرى تعدد الأساليب وتنوعها، منها: الاقتباس من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والتضمين، والتأثر بالتاريخ وحوادثه.

8- نجد أكثر الأوزان شيوعاً في شعر حسان الإسلامي البحر الطويل، يليه الكامل، ثم البسيط، والوافر، والمتقارب، والرمل، والخفيف، والسريع، وكل من المنسرح، والرجز.

9- وعند النظر إلى حروف القافية في شعره الإسلامي، يأتي حرف الراء في القمة، ومن بعده اللام، ثم الدال، والباء، والميم، والعين، والفاء، والنون، والقاف، والألف، والحاء، وكل من التاء، والجيم، والكاف، والياء.

10- هناك عدد من ألوان البديع كالتكرار والجناس والتصريع، وغير ذلك من ألوان التأنق النغمي التي تشكل الموسيقى الداخلية في شعر حسان الإسلامي.

11- ومن السّمات التي تلحظ على شعر حسان الإسلامي أن القصيدة تحتوي على عدّة موضوعات مختلفة، بل في بعض الأحيان القصيدة تحتوي على المدح والفخر والهجاء، وتبدأ أحياناً بالغزل.

6. الهوامش

1 - سورة الشعراء: الآيات (224- 227)

2- محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، 2002م، ص91

3 - أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ط5، دار المعرفة، بيروت، 1995م، ص78

4 - إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في شواهد العربية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ص74

5 - أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1423هـ، ص280

6- حبيب يوسف مغنية: الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، ط1، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، 1995م، ص165

7- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ط1، دار الفكر، بيروت، 1978م، ص14- 15

8 - سورة الحشر الآية: 18

9 - سورة غافر الآية: 68

10 - سورة الزلزلة الآية: 1

11- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي- العصر الإسلامي، ط26، دار المعارف، القاهرة، 1995م، ص167

12 - عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1978م، ص187

13 - حسان بن ثابت: الديوان، ط2، دار صادر، بيروت، 2009م، ص342

14 - حسن بشير صديق: الأدب العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي، ط1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2007م، ص210

15 - حسان بن ثابت: الديوان، المرجع السابق، ص136

16 - المرجع نفسه: ص180- 181

17 - حبيب يوسف مغنية: الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، المرجع السابق، ص288

17 – حسن بشير صديق: الأدب العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي، المرجع السابق، ص212– 213
19 – البخاري: صحيح البخاري، المرجع السابق، ص98
20 – أحمد محمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م، ص491
21 – أبو عبد الله محمد بن ماجة: سنن ابن ماجة، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1995م، ص19
22 – حسان بن ثابت: الديوان، المرجع السابق، ص186
23 – سورة مريم: الآيات، 2– 15
24 – سورة مريم: الآيات، 25– 34
25 – سورة الأحقاف: الآيات، 21– 25
26 – مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ط1، موقع الإسلام للنشر والتوزيع، بيروت، 1988م، ص88
27 – حسان بن ثابت: الديوان، المرجع السابق، ص11
28 – المرجع نفسه: ص112
29 – المرجع نفسه: ص249
30 – محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ، ص238
31 – سورة التوبة: الآية، 40
32 – حسان بن ثابت: الديوان، المرجع السابق، ص59
33 – المرجع نفسه: ص165
34 – أيهم عباس حمودي : شعر العقيدة في صدر الإسلام، ط1، مكتبة النهضة العربية، بغداد، 1986م، ص260
35 – حسان بن ثابت: الديوان، المرجع السابق، ص212
36 – سورة التوبة: الآية، 100
37 – حسان بن ثابت: الديوان، المرجع السابق، ص263
38 – محمد عبد الرحمن شميلة: الشعر في ضوء الشريعة الإسلامية، ط10، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1977م، ص163
39 – حسان بن ثابت، الديوان، المرجع السابق، ص151
40 – سورة الغاشية: الآية، 6
41 – حسان بن ثابت: الديوان، المرجع السابق، ص69– 70
42 – سورة القمر: الآيات، 27– 31
43 – سورة الأحزاب: الآية، 21
44 – حسان بن ثابت: الديوان، المرجع السابق، ص47
45 – سورة الأحزاب: الآية، 40
46 – سورة الفتح، الآية، 29
47 – سورة المائدة الآية، 19
48 – حسان بن ثابت: الديوان، المرجع السابق، ص47
49 – سورة الأنعام: الآية، 100
50 – سورة الفاتحة: الآية 5
51 – حسان بن ثابت: الديوان، المرجع السابق، ص29
52 – المرجع نفسه: ص66
53 – المرجع نفسه: ص346
54 – أحمد الحملاوي: زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع، ط1، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2000م، ص177
55 – حسان بن ثابت: الديوان، المرجع السابق، ص383

56 – حسان بن ثابت: الديوان، المرجع السابق، ص383
57 – المرجع نفسه: ص376
58 – حسان بن ثابت: الديوان، المرجع السابق، ص220
59 – المرجع نفسه: ص209
60 – المرجع نفسه: ص420
61 – المرجع نفسه: ص57

7. المصادر والمراجع

– القرآن الكريم.

1– أبو عبد الله محمد بن ماجة: سنن ابن ماجة، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1995م، ص19

2– أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ط1، دار الفكر، بيروت، 1978م، ص14– 15

3 – أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1423هـ، ص280

4 – أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ط5، دار المعرفة، بيروت، 1995م، ص78

5– أحمد الحملاوي: زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع، ط1، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2000م، ص177

6– أحمد محمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م، ص491

7- أيهم عباس حمودي : شعر العقيدة في صدر الإسلام، ط1، مكتبة النهضة العربية، بغداد، 1986م، ص260

8– إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في شواهد العربية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ص74

9– حبيب يوسف مغنية: الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، ط1، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، 1995م، ص165

10– حسن بشير صديق: الأدب العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي، ط1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2007م، ص210

11– شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي– العصر الإسلامي، ط26، دار المعارف، القاهرة، 1995م، ص167

12 – عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1978م، ص187

13– محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، 2002م، ص91

14– محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ، ص238

15– محمد عبد الرحمن شميلة: الشعر في ضوء الشريعة الإسلامية، ط10، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1977م، ص163

16– مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ط1، موقع الإسلام للنشر والتوزيع، بيروت، 1988م، ص88